مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣١/٢٠١٠ هـ.ق، العدد ١٧ (٤) ٧٥- ٨٩

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

نظرة في أحاديث تفسير الصافي حول أسباب النزول وشأنه

ماشاءالله جشني ارانی [١]

تاريخ الوصول: ١٤٣٠/٧/٢٥ تاريخ القبول: ١٤٣١/٣/٢٧

حازت أسباب النزول على مكانة خاصة في التفاسير الروائية، حيث يمكن تناول رؤى المفسرين فيها من زوايا مختلفة، و يدل حجم الإعتماد على تلك الروايات ودرجة الركون إليها على وجهات نظرالمفسر في هذا الشأن.

ويعد (تفسير الصافي) للفيض الكاشاني من جملة التفاسير الروائية التي تتمتع بخصوصيات فريدة: منها بيان مورد النزول في شخص واحد أو أشخاص، و بيان شأن الأئمة (عليهم السلام) والفرائض والأحكام، ومناخ نزول الآيات، وغير ذلك من الخصوصيات التي تنم عن الدور المهم الذي تلعبه تلك الروايات في التفسير.

كما أن كيفية تعامله مع الروايات المتعارضة ترتكز – حينما يتصدى للتوفيق بينها – على الأسس التي يتبناها في الفقه الحديثي، فهو لم يتبع المنهج المتداول لدى الأصوليين في التمسك بقاعدة التعادل والترجيح حين تعارض الأخبار سعياً وراء الظفر بالأخبار الموثقة وإسقاط ما عداها عن الإعتبار بل اتبع منهجاً خاصاً في الروايات التفسيرية يتلخص في البحث عن مخرج من أجل إزالة التعارض بينها، وانطلاقاً من ذلك فقد حمل بعض الروايات على التنزيل وبعضها الآخر على التأويل كما مضى في العمل بالجري والتطبيق ونظائرها لنيل ذلك الهدف .

وقد كتب هذا البحث بهدف بيان معالم هذا المنهج في أصناف مختلفة من روايات أسباب النزول في تفسير الفيض الكاشاني.

الكلمات الرئيسية: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، أسباب النزول، شأن النزول.

---

١. استاذ مساعد في قسم الإلهيات بجامعة كاشان

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

١ – طرح الموضوع

يعد تفسير الصافي وهو من مصنفات المفسر والمحدث الكبير الفيض الكاشاني من التفاسير الروائية القيمة للشيعة، ويضم عدداً هائلاً من الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير آيات القرآن. وقد استعان مفسره بعدة تفاسير روائية منها: تفسير علي بن إبراهيم القمي، وتفسير العياشي، وتفسير فرات الكوفي، والتفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وببعض الكتب الروائية والمجامع الحديثية للشيعة لاسيما أصول الكافي.

إن المشرب الروائي لهذا العالم الكبير يصدر عن موسوعيته في مختلف المجالات لاسيما مجال الأصول. فهو يضع نصب عينيه أصولاً، كان قد سلط الأضواء عليها في كتاباته نظير: «الأصول الأصيلة» و «مقدمة تفسيره الصافي » و«تفسيره الوافي»، وعندما يواجه الأخبار المتعارضة يقوم ببيان قاعدة التعادل والتراجيح – على ديدن الأصوليين – وسرد مرجحات الروايات واحداً تلو الآخر، والسمة البارزة لأصوله النظرية والتطبيقية هي الجمع والتوفيق بين الروايات المتعارضة في الظاهر و ندرة اعتماده على المرجحات السندية حين انتقاء الروايات، وعندما يواجه روايات أسباب النزول يعالجها وفق مشربه الروائي الذي ترك تاثيراً بالغاً على تصوراته، ولما كانت مصادر وأسباب النزول هي الروايات والأحاديث فقد جاء تفسيره تفسيراً روائياً محضاً.

كما بين هذا المفسر الكبير سبب نزول الآيات وشأن نزولها على نطاق واسع، و يمكن لمس ذلك على صعد مختلفة، مثل: بيان سبب النزول في شخص أو أشخاص، و بيان شأن الأئمة (عليهم السلام) والفرائض والأحكام، ومناخ نزول الآيات، والتدرج في بيان الأحكام، و ازاحة الستار عن الشبهات المثارة وعن المدلول الظاهري للآيات .

وعلى هذا الأساس فبيان أسلوب المفسر في تناول روايات أسباب النزول كماً وكيفاً وصدوره في ذلك عن متبنياته الأصولية، يفتح باب البحث والتحقيق على مصراعيه في هذا المضمار، ذلك لأن منهجه في الجمع والتوفيق بين هذه الروايات يتلخص في محاولة إيجاد مخرج لهذا الجمع والتوفيق دون أن يدخل في حساباته سند الروايات.

من هنا كان البحث عن الأصول التي يتبعها الفيض الكاشاني في روايات سبب النزول وسرد نماذج مختلفة للجمع والتوفيق بينها جديراً بالعناية والإهتمام وهذا ما يهدف إليه هذا المقال.

المقدمة

لايكاد يعثر في كتب اللغة على مصطلح تحت عنوان أسباب النزول الذي يتركب من كلمتين الأسباب والنزول، والأسباب جمع سبب وهو كل ما يتوصل به إلى شيء كالحبل والسبيل (الفراهيدي، ١٤١٤ هـ. ق، ص ٤٢٤) وعلقة القرابة والناحية (الجوهري، ١٤٠٤هـ .ق، ص ١٨٢٩) والوسيلة (الطريحي، ١٤١٥ هـ. ق، ٨٠١/٢)، والحياة (الفيروز آبادي، ١٤٢٠ هـ.ق، ١٧٦/١)، والأبواب والسلالم (الراغب الأصفهاني، ص ٢٢٥) هذه الكلمة ومشتقاتها من المعاني المذكورة وردت في القرآن الكريم.

أما النزول فهو الحلول والسقوط (الجوهري، نفسه) وهذا الحلول والانحدار والانحطاط إما مادياً وإما معنوياً (المصطفوي، ١٣٧١، ص ٨٧) و النزول في مورد الآيات؛ هو ما يورد حسب المقام واقتضاء الحال (المصدر نفسه، ص ٩١) .

وأما سبب النزول اصطلاحاً، قال السيوطي: سبب النزول هو كل حادثة نزلت آية في زمان وقوعها

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

(السيوطي، الإتقان، ١٤٢٤ هـــ. ق، ٦٤/١) وذهب حاجي خليفة إلى أن أسباب النزول من فروع علم التفسير، وقال: هو العلم الذي يبحث عن سبب نزول الآية أو السورة وزمان ومكان وقوعها وما يتعلق بها (حاجي خليفة، ١٤١٩ هـــ .ق، ١١٩/١) كما قال الزرقاني في هذا السياق: (سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه و مبينة لحكمه أيام وقوعه) (الزرقاني، منأهل العرفان، ١٤١٦ هـــ.ق، ١٠٨/١).

وقد ذهب الغالبية إلى أن سبب النزول يرادف شأن النزول ويبدو أنهما مختلفان بالنظر الدقيق، إذ الشأن لغةً هو الأمر والحال والقصد والإرادة الأعم من أن يبلغ الشيء أو لا (الجوهري، المصدر نفسه)، أما السبب لغة فهو الحبل والسبيل وعلقة القرابة وكل ما يتوصل به إلى شيء آخر (الفراهيدي، المصدر نفسه) وعليه فالنسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق .

ولاشك أن سبب النزول هو عبارة عن الحوادث التي وقعت في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) وما تبع ذلك من نزول آية أو آيات تزيح الغموض عنها بينما يعني شأن النزول الحوادث التي نزلت بهدف حل ألغاز قصص القدماء وأخبار الأمم الماضية أو بيان مكانة الأنبياء والأولياء بعد أن نيل من كرامتهم .

فسبب النزول إذن أخص من شأن النزول ذلك لأن سبب النزول يتناول المشكلة الحاضرة زمن النبي (صلى الله عليه وآله) بينما شأن النزول يتناول المشكلة التي اتفق وقوعها في الماضي أو الحاضر (معرفت، ١٤١٦هـــ.ق،٢٥٤/١).

فمثلا نزلت سورة الفيل في شأن أصحاب الفيل (الواحدي النيسابوري، ١٤١٩ هـــ.ق، ص ٤٩١) وحكاية أبرهة الذي قاد جيشاً جراراً لهدم الكعبة ليست سبب نزول هذه السورة بل هي شأن نزولها (السيوطي، المصدرنفسه).

إن الحديث عن أسباب نزول القرآن لايتيسر إلا من خلال الروايات والسماع ممن شاهد نزول القرآن ووقف على أسباب نزوله وقد وعد الشارع بالعذاب لكل من ورد هذا الميدان دون علم، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

(اتقوا الحديث إلا ما علمتم، من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) (على بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، ١٤١١هـــ. ق، ص ١١).

ولاشك أن النبي (صلى الله عليه وآله) الذي نزل عليه الوحي وكان شاهداً وحاضراً طيلة فترة نزول الوحي كان أعلم الناس بأسباب النزول ويتلوه في ذلك أمير المؤمنين على (عليه السلام) الذي كان أعلم الصحابة بالتأويل والتنزيل بإذعان الفريقين، قال (عليه السلام): (والله ما من آية نزلت إلا أنا أعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت) (السيد محمد باقر حجتي، ١٣٦٩هـــ. ش، ص ٧٣) ويظهر من كلام الإمام هذا ومن سائر كلماته أن معرفة سبب نزول الآيات والشرائط الزمانية والمكانية وسائر الظروف التي نزل فيها القرآن لها تأثير بالغ في التصور الصحيح والدقيق لمعاني ومدلولات الآيات. إن وقوف الإمام (عليه السلام) على مناخ نزول الآيات واضح للعيان، إذ يقول: (واسألوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أ/بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل) (محمد باقر المجلسي، ١٤٠٣ هـــ. ق ١٠٣/٨٩)

هذه النظرة لدى هذا المفسر الكبير أفضت به إلى حشد روايات أسباب النزول في تفسيره وكان ينقل هذا النوع من الروايات عن تفسير مجمع البيان، وتفسير العياشي، والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) وغيرها، وعن بعض الكتب الروائية كأصول الكافي وعيون أخبار

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

الرضا وتهذيب الأحكام ومن لايحضره الفقيه. وعليه يمكن الظفر بأصناف مختلفة لأسباب النزول في تفسيره .

ومع الأخذ بعين الإعتبار الصبغة الروائية لتفسيره فإن معظم الروايات فيه قد اختصت ببيان أسباب النزول وشأن النزول والإطلاع على هذه الروايات كماً وكيفاً يستلزم البحث عن الأصناف المختلفة لأسباب النزول في التفسير المذكور ويمكن تقسيم هذه الروايات إلى الأصناف التالية:

٢ – الأصناف المختلفة لأسباب النزول وشأن النزول في تفسير الصافي

٢ – ١ – بيان نزول الآية في شأن فرد أو جماعة خاصة

نزلت بعض آيات القرآن في شأن أفراد أو قبيلة أو طائفة أو فرقة، والإطلاع على شأن نزول الآية في هذا المجال أدى إلى الوقوف على الشخص أو الأشخاص الذين نزلت بشأنهم الآية ومن هنا ترفع التهمة عن أشخاص مبهمين أو متهمين عبر فرزهم عن الآخرين (السيد محمد باقر حجتي، ص ٩٩، المصدر السابق، أبو علي الطبرسي، مجمع البيان، ١٤٠٦ هـ .ق، ٨٧/٩، الزرقاني، المصدر السابق، ١٠٦/١، الطباطبائي، الميزان، ١٤١٧ هـ.ق، ٢٠٨/١٨ السيد محمد باقر المجلسي، المصدر السابق، ص ٩٩) .

قال الفيض الكاشاني عند بيان ذيل الآية: (أتأمرونَ النّاسَ بالبرِّ وتنسونَ أَنفُسَكم وأنتم تتلُون الكتابَ أَفلا تعقلون) (البقرة/ ٤٤) (نزل في علماء اليهود ورؤسائهم المردة المنافقين الذين يأخذون أموال الفقراء للأغنياء الذين كانوا يأمرون الآخرين بالخير ويتركونه وينهون عن الشر ويرتكبونه، ونقل عن تفسير القمي أنها نزلت في الخطباء والقصاص وهو قول أمير المؤمنين (عليه السلام): وعلى كل منبر منهم خطيب مصقع يكذب على الله وعلى رسوله وعلى كتابه) (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ١/ ١٢٥).

وذهبت بعض التفاسير إلى أنها نزلت في الخطباء والناصحين من أمة محمد (صلى الله عليه وآله) (أبو الفضل ميبدي، ١٣٦٣، ص ١٧١) بينما نسبها البعض الآخر – مع اختلاف في التعبير – إلى قوم من اليهود بشروا بقدومه (صلى الله عليه وآله) قبل بعثته ودعوا الآخرين إلى اتباعه وما أن بعث النبي (صلى الله عليه وآله) حتى أعرضوا عنه (فخر الدين الرازي، ١٤٢٠ هـ. ق، ص ٤٨٨) .

وبعد أن نقل الفيض الكاشاني الأقوال في سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في حق من أشاد بفعل حسن ثم أعرض عنه (المصدر نفسه، ص ١٢٥) لمح إلى أن الآية رغم أنها نزلت بحق أشخاص ولكن الخطاب العام يقتضي شموله للموارد التي تنطوي تحت مصاديق الآية من قبيل الآيات التي شأن نزولها في طائفة خاصة أو أفراد خاصين، وهذا النوع من الآيات يكثر في القرآن الكريم، منها الآيات ٦٩ و ١٠٠ من سورة آل عمران، و ٤٤ من سورة النساء، و ٢ من سورة الحجرات، و ٤٣ – ٤٤ من سورة الدخان، و ١ – ٢ من سورة عبس، و ٥ – ٧ من سورة الليل (انظر الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ٣٤٧/١و ٣٦٤ و ٤٥٦، ٤٠٩/٤، ٤٧/٥ و ٢٨٤ و ٣٣٨).

٢ – ٢ – سبب النزول في بيان فرائض الأحكام

استعان الفيض الكاشاني بروايات أسباب النزول لبيان الفرائض والأحكام وكان ينقل في هذا السياق أقوالاً مختلفة، ثم يختار في النهاية الرواية التي يرى أنها الأصح في سبب النزول، فمثلاً في الآية (ولله المشرقُ والمغربُ فأينما تولوا فثمَّ وجهُ الله) (البقرة / ١١٥) نقل عن تفسير القمي: إنها نزلت في صلاة النافلة تصليها حيث توجهت إذا كنت في السفر وأما الفرائض فقوله تعالى: (وحيثُ ما كنتم فولوا وجوهَكم شطره) (البقرة / ١٤٤) يعني

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

الفرائض لاتصليها إلا إلى القبلة) (تفسير الصافي، ١/ ١٨٢)، كما أورد روايات أخرى منها الرواية التي نقلها عن كتاب (من لايحضره الفقيه) عن الصادق (عليه السلام) (أنه سئل عن رجل يقوم في الصلاة ثم ينظر بعدما فرغ فيرى أنه قد انحرف عن القبلة يميناً أو شمالاً، فقال (عليه السلام): قد مضت صلاته وما بين المشرق والمغرب قبلة، ونزلت هذه الآية في قبلة المتحير ولله المشرقُ والمغربُ فأينما تولوا فثمَّ وجهُ الله) (المصدر نفسه، ١ / ١٨٤).

وفي الآية (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً) (البقرة/ ٢٠٠) أدى بيانه في سبب النزول إلى المزيد من الوضوح في حكم الآية، حيث نقل في تفسيره الصافي حول هذه الآية عن مجمع البيان عن الإمام الباقر (عليه السلام): (كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك يعدون مفاخر آبائهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة وأياديهم الجسيمة فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع أو أشد ذكراً أو يزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله سبحانه ويعدوا الآءه ويشكروا نعماءه لأن آباءهم وإن كانت لهم عليهم أياد ونعم، فنعم الله سبحانه عليهم أعظم أياديه عندهم وأفخم ولأنه سبحانه المنعم عليهم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم) (المصدر نفسه، ١/ ٢٣٦ وانظر: أبو على الطبرسي، المصدر السابق، ٢/ ٥٢٩).

كما ذكر في سبب نزول الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) (البقرة/٢٧٨) نقلاً عن مجمع البيان عن الباقر (عليه السلام): (إن الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وقد بقي له بقايا على ثقيف، فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم، فنزلت) (أبو على الطبرسي، نفس المصدر، ٢ / ٥٢٩)

وقد ذكر الشيخ الطوسي أن ظاهر الآية تحريم ما بقي دينا من الربا وإيجاب أخذ رأس المال دون زيادة على جهة الربا (الطوسي، التبيان، ٢ / ٣٦٦) وفي هذا السياق قال العلامة الطباطبائي: (الآيات مسوقة لتأكيد حرمة الربا والتشديد على المرابين وليست مسوقة للتشريع الإبتدائي، كيف ولسانها غير لسان التشريع وإنما الذي يصلح لهذا الشأن قوله تعالي في سوره آل عمران (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) (آل عمران / ١٣٠) نعم تشتمل هذه الآيات على مثل قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) وسياق الآية يدل على أن المسلمين ما كانوا ينتهون عن النهي السابق عن الربا، بل كانوا يتداولونها بينهم بعض التداول، فأمرهم الله بالكف عن ذلك) (الطباطبائي، الميزان، المصدر السابق، ٢/٤٠٨)

وقال الفيض الكاشاني في سبب نزول الآية (وإذا قرئ القرآن فاستمِعُوا لهُ وأنصِتوا لعلّكم تُرحمون) (الأعراف / ٢٠٤) قيل: نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له، وفي من لايحضره الفقيه عن الباقر (عليه السلام): إن كنت خلف إمام فلا تقرأنّ شيئاً في الأوليين وأنصت لقراءته، ولاتقرأنّ شيئاً في الآخرتين فإن الله يقول للمؤمنين (وإذا قرئ القرآن) يعني في الفريضة خلف الإمام (فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) والاخيرتان تبع للأولتين ...وعن الصادق (عليه السلام): (يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وفي غيرها) (تفسير الصافي، ٢٦٣/١) و لم يبين نظره الصريح في هذا المجال نظراً لعدم الظفر بالرواية التي تجمع الأقوال الآنفة الذكر.

٢ – ٣ – الجري والتطبيق في آيات القرآن

الجري لغة هو الجريان (ابن فارس، ١٤١١هـ.ق، ص ٤٤٨) واصطلاحاً هو عبارة عن انطباق الألفاظ والآيات

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

القرآنية على مصاديق لم تنزل آيات بشأنها، والمراد هنا تطبيق الألفاظ والآيات القرآنية على النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وخصومهم (عميد زنجاني، ١٣٦٨ ش، ص ٨٦)

لاشك أن القرآن الكريم كتاب نور وهداية وكتاب خالد يجري على الغائب كجريانه على الحاضر ويدل على المستقبل والماضي كما يدل على الحال، لذا يجدر بمن أراد البحث عن معاني القرآن من الأخبار والروايات ويتجنب الوقوع في تناقض أو تضاد ألا يجمد في فهم القرآن على مورد نزول الآية في شخص أو أشخاص، بل لابد من تعميمه إلى كافة الموارد التي تشترك مع مورد نزول الآية في الخصوصية والصفات، ويطلق على هذه الخصوصية في عرف الروايات بالجري (المصدر نفسه، ص ٤٢)

هذه الخصوصية تفتح للإنسان باباً جديداً نحو الإهتمام بالباطن وفهم أسرار القرآن (لأن التناقض والتضاد الموهومين في الأخبار إنما يرتفعان بذلك في الغالب، وفهم أسرار القرآن يبتني على ذلك للطالب، فإن نظر أهل المعرفة إنما يكون في العلوم إلى الحقائق الكلية دون الأفراد فما ورد في الأخبار من التخصيص فإنما ورد للأفهام القاصرة على خصوص الآحاد للإستيناس إذ كان كلامهم مع الناس على قدر عقول الناس) (الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ١ / ١٢)

وهذا الأصل انتزع من روايات مفادها أن القرآن يعم كافة الأزمنة، فقد سئل الصادق (عليه السلام) عن معنى ما في القرآن آية إلا ولها ظاهر وباطن، فقال: (ظهره تنزيله وبطنه تاويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس والقمر) (العياشي، التفسير، ١٣٨٠هـ.ق، ١١/١).

وقد كشف الفيض الكاشاني النقاب عن سر ذلك الأصل وأنه لو كان المراد من القرآن هو الإنحصار بأشخاص خواصّ وأمكنة مخصوصة لتدنت فائدة القرآن وحاشا أن يكون الأمر كذلك لأن القرآن بحر لايدرك قعره فظاهره أنيق وباطنه عميق لاتحصى عجائبه ولاتبلى غرائبه (الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ١ / ١٢) .

و تعرض في الآية (فاستجابَ لهم ربُّهم أني لا أضيعُ عمل عامل منكم مِن ذكرٍ أو أنثى بعضكم من بعض) (آل عمران / ١٩٥) إلى سبب نزولها وأنها نزلت في حق من هاجر مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلحق برسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنهم الفواطم (فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله وفاطمة بنت الزبير) ونقل عن تفسير القمي (الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) وسلمان وأباذر حين أخرج وعمار الذين أوذوا في سبيل الله) (المصدرالسابق، ١ / ٤١٠).

ذكر العديد من المفسرين أنها نزلت جواباً لهذا السؤال الذي وجهته أم سلمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله): ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء) (علي بن أحمد الواحدي، نفس المصدر، ص ١٤٣)

وبعد أن نقل الفيض الكاشاني ذلك، عقّب بقوله: (وتشمل الآيات كل من اتصف بهذه الصفات) (نفس المصدر) وهذا يشير إلى أن الآية لاتختص عنده بمورد، بل تعم كافة الموارد التي تشترك مع مورد النزول فيالصفة ، وعلاوة على الآية المذكورة فقد بحث الفيض الآية ٤٥ من سورة النحل كشاهد على الجري والتطبيق (أنظر : الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ح ١٣٧، ٣).

٢ – ٤ – سبب النزول في بيان شأن الأئمة (عليهم السلام)

يعتقد الفيض الكاشاني في أن آيات القرآن أنزلت في بيان شأن أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم والتنديد بأعدائهم،

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

و ذلك بنوع من التأويل الذي بين أصوله في المقدمة الثالثة من مقدمات تفسيره .

ومن جملة ذلك قوله تعـــــالي (ومنَ النـّاسِ من يشري نفسَه ابتغاءَ مرضاتِ الله واللهُ روؤفٌ بالعباد) (البقرة /٢٠٧) فقد نقل عن تفسير العياشي عن الأئمة (عليهم السلام) أن الآية نزلت في حق أمير المؤمنين (عليه السلام) حين بذل نفسه لله ولرسوله ليلة اضطجع على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما طلبته كفار قريش (العياشي، التفسير، ١٠٢/١) ثم نقل عن مجمع البيان ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن مراد الآية هو من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر (الطبرسي، مجمع البيان، ٥٣٥/٢) ومن ثم قام بالجمع بين الروايتين من خلال القول بأن مورد الآية عام رغم أنها نزلت في شأن خاص (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ٢٤١/١)، وإضافة إلى ما ذكر فقد تناول بالبحث آيات كثيرة أخرى دلت على أن سبب نزولها هو الأئمة وأصحابهم وأعداهم، منها الآيات ٢٤ من سورة الأنفال، و ٣٩ من سورة الرعد، و ٢٦ من سورة الإسراء، و ٥٥ من سورة النور، و١٢ من سورة يس، و ٥٩ من سورة النساء، و ٥٤ من سورة المائدة، و ٥٥ من سورة الأنفال، و ١١٢ من سورة التوبة، و ٢٠ من سورة الرعد، و ٢٦ من سورة محمد، و ٣٠ من سورة الملك (أنظر: الفيض الكاشاني، نفس المصدر، ٢ / ٤٣، ١١٩ و ٢٠١ و ٢٨٩ و٣١١، ٣٥٣ و ٣٨٢، ٤٦٢، ٣ / ٦٦ و ١٨٦ و ٤٤٤، ٤ / ٢٩، ٢٩٥/٥).

٢ – ٥ – بيان مناخ نزول الآيات

تدل بعض الروايات أحياناً على المناخ الثقافي والإجتماعي للمجتمع الذي نزلت فيه الآيات، والوقوف على هذا المناخ له دور مهم في إعطاء صورة أفضل لأبعاد تلك الآيات. فالآيات الأولى لسورة النساء تتعلق باليتيم وكيفية التعامل معه، قال سبحانه: (وأتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيثَ بالطيبِ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثني وثلاثَ ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) (النساء / ٢و٣)

أن ما يبدو لأول وهلة هو انفصام العلاقة بين (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) و (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وعلى ضوء ذلك أخذ بعض المفسرين بأقوال وآراء لاتخلو من تكلف وتعسف، منها: اسقاط ثلث القرآن بين القول في اليتامي وبين نكاح النساء من الخطاب (أبو علي الطبرسي، المصدر السابق، ٢ / ٥٢٩)، ومنها أن مقطعاً من هذه الآية جاء في أول السورة والمقطع الثاني في رأس الآية ١٢٠ أي قبل المقطع الثاني (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) ويكون الخطاب (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن) (النساء/ ١٢٧) ومبعثه تصور عدم حلية الزواج باليتيمة التي تربت في أحضان الرجل ولّما سئل النبي (صلى الله عليه وآله) أنزل الله الآية (ويستفتونك في النساء) (علي بن إبراهيم القمي، ١٣٦٧، ١ / ٩٣ – ١٣٠).

وذهب الفيض الكاشاني أن ما ذكره على بن إبراهيم القمي حول الآية وارتباطها بسائر الآيات لايخلو من إشكال فراح من خلال الفهم الصحيح لمناخ نزول الآيات يبين العلاقة والإرتباط بين المقطعين في الآية المبحوث عنها حيث قال في معني الآية (وإن خفتم): (إن خفتم أن لاتعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن) ويشير إلى المناخ الفكري والثقافي السائد عند

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

العرب آنذاك وكيفية تعاملهم مع يتامي البنات، وأضاف: (إذا كان الرجل يجد يتيمة ذات ما ل وجمال فيتزوجها ضناً بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن) (المصدر نفسه، أنظر: الطوسي، المصدر السابق، ٣ / ١٠٣، وأبو الفتوح الرازي، المصدر السابق، ٥ /٢٣٩، وفخر الدين الرازي، المصدر السابق، ٣ / ٤٨٥، وعلي بن أحمد الواحدي، المصدر السابق، ١٤٧). كما أشار القرطبي إلى هذا المناخ الفكري، وقال: (هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهى أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن) (القرطبي،٥ / ١٣٦٤،١١)

٢ – ٦ – بيان أكمل المصاديق

يذكر أحياناً شأن نزول أتم مصاديق الأوصاف والمفاهيم التي ورد ذكرها في بعض الآيات. وعندما يذكر سبب النزول الخاص بالآية يشير إلى أنه لاينافي عموم حكم الآية، ففي آية (فكيفَ إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاءِ شهيداً) (النساء / ٤١) استند إلى رواية في الكافي عن الصادق (عليه السلام) أنها نزلت في أمة محمد (صلى الله عليه وآله) خاصة في كل قرن منهم إمام شاهد عليهم ومحمد (صلى الله عليه وآله) شاهد علينا .

وفي الإحتجاج عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث – يذكر فيه أحوال أهل الموقف – فيقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالات التي حملوها إلى أممهم فيخبرون أنهم قد أدوا ذلك إلى أممهم وتسأل الأمم فيجحدون، كما قال الله تعالى (فلنسئلنَّ الذينَ أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين) (الأعراف/٦) فيقولون ما جاءنا من بشير ولا نذ ير فيستشهد الرسل رسول الله فيشهد بصدق الرسل ويكذب من جحدها من الأمم فيقول لكل أمة منهم بلي قد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير أي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم ولذلك قال الله تعالي لنبيه (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) (النساء / ٤١).

وبعد هذا يصرح الفيض الكاشاني بأن نزول الآية في هذه الامة لاينافي عموم حكمها فلاتنافي بين الروايتين (الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ٤٥٢/١).

وفي الآية (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (النساء/٥٨) ينقل الفيض الكاشاني عن الكافي أن الخطاب إلى الأئمة (عليهم السلام) أمر كل واحد منهم أن يؤدى إلى الإمام الذي بعده ويوصي إليه ثم هي جارية في سائر الأمانات. (المصدر نفسه، ١ / ٤٦١) وعلى هذا الأساس فسبب نزول الآية يدل على اكمل مصاديق الأمانة وهو لاينافي حكم الآية في سائر الأمانات. وفي تفسير مجمع البيان أنها في كل من ائتمن أمانة من الأمانات، أمانات الله أوامره ونواهيه وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره (الطبرسي، مجمع البيان، ٣ / ٩٣).

من جهة أخرى – و مع أخذ سياق الآيات التي سبقتها بعين الإعتبار– فان الأمانات تقتصر على إظهار أوصاف النبي (صلى الله عليه وآله) التي أمر أحبار اليهود ببيانها، ولكنهم كتموا تلك الأوصاف مع علمهم بها من التوراة وخانوا الأمانة وفي الوقت نفسه فإن الآية تنطوي على عموم وشمول لكل أمانة ذلك لأن مفردة الأمانات هي جمع محلي بالألف واللام الدال على الإستغراق والشمول (الطبرسي، مجمع البيان، المصدر السابق، ٣ / ٥٩، أبو الفتح الرازي، المصدر السابق، ٣ / ٢٠٠، الواحدي النيسابوري، أسباب

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

النزول، المصدر السابق، ٨٩، السيد محمد باقر حجتي، المصدر نفسه، ص ١١٦) وإضافة إلى الموارد المذكورة، فقد ذكر الفيض الآيات ٢٦٥ و ٢٧٤ من سورة البقرة كمصاديق للموضوع (أنظر الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ١ / ٢٩٦ و ٣٠١) .

٢ – ٧ – التدرج في بيان الأحكام

نقل الفيض الكاشاني عند تفسير الآية (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتي تعلموا ما تقولون) (النساء / ٤٣) روايات متعددة في سبب نزولها، منها رواية الكافي وعلل الشرايع والعياشي عن الباقر(عليه السلام): لاتقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنه يدخلها النفاق وقد نهى الله عز وجل أن تقوموا إلى الصلاة وأنتم سكارى، قال سكارى، قال: سكر النوم .(المصدر السابق، ١ / ٤٥٣)

ورواية مجمع البيان عن الكاظم (عليه السلام): أن المراد به سكر الشراب ثم نسختها تحريم الخمر.(الطبرسي، مجمع‌البيان،١/ ٨)

ورواية العياشي عن الإمام الكاظم (عليه السلام): هذا قبل أن يحرم الخمر .

وعن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن هذه الآية قال: يعني سكر النوم يكون بكم نعاس يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في ركوعكم وسجودكم وتكبيركم وليس كما يصف كثير من الناس يزعمون أن المؤمنين يسكرون من الشراب والمؤمن لايشرب مسكراً ولا يسكر.(العياشي، المصدر السابق، ١/ ٢٤٢)

وبعد أن نقل هذه الروايات حاول الفيض الكاشاني التوفيق بينها بنحو يزيل التعارض الظاهري بينها، وفي نفس الوقت يحافظ على السنخية والعلاقة بين صدر الآية وذيلها ويقول في هذا الصدد: لما كانت الحكمة تقتضي تحريم الخمر متدرجاً والتأخير في التصريح به كما مضى بيانه في سورة البقرة وكان قوم من المسلمين يصلون سكارى منها قبل استقرار تحريمها نزلت هذه الآية وخوطبوا بمثل هذا الخطاب ثم لما ثبت تحريمها واستقر وصاروا ممن لا ينبغى أن يخاطبوا بمثله لأن المؤمنين لايسكرون من الشراب بعد أن حرم عليهم جاز أن يقال الآية منسوخة بتحريم الخمر بمعني عدم حسن خطابهم بمثله بعد ذلك لا بمعني جواز الصلاة مع السكر ثم لّما عمّ الحكم سائر ما يمنع من حضور القلب جاز أن يفسر بسكر النوم ونحوه تارة وأن يعم الحكم أخرى فلا تنافي بين هذه الروايات بحال (الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ١/٤٥٣).

٢ – ٨ – بيان الإجابة عن الشبهات المثارة

إن بعض ما يطرح من أسئلة على النبي (صلى الله عليه وآله) كان سببا في نزول آية أو آيات تتصدى للإجابة عنها، وثمة روايات عديدة تكشف عن تلك الإستفسارات التي أعقبها نزول تلك الآية أو الآيات، وإلى هذا أشار الفيض الكاشاني عند تفسير قوله تعالى: (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفيّ عنها قل إنما علمُها عندَ الله ولكن أكثر الناس لايعلمون) (الأعراف / ١٨٧) فقد نقل عن تفسير القمي أن قريشاً بعثت العاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث بن كلدة وعقبة ابن أبى معيط إلى نجران ليتعلموا من علماء اليهود مسائل يسألونها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان مما سألوا محمداً (صلى الله عليه وآله) متي تقوم الساعة ؟ فإن ادعي علم ذلك فهو كاذب فإن قيام الساعة لم يطلع الله عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً فلما سألوه نزلت الآية المذكورة (الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ٢ / ٢٥٨)

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

ونظير هذا النوع من السؤال ورد في سورة النازعات قال الله تعالي: (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) (النازعات / ٤٢) وهنا خاطب سبحانه نبيّه (ﷺ) (فيم أنت من ذكراها)(النازعات / ٤٣) أي ليس عندك علم بوقتها وإنما تعلم أنها تكون لامحالة وليس هذا مما يتصل بما بعثت لأجله فإنما بعثت داعياً .(الطبرسي، المصدر السابق، ١٠ / ٦٦٠)

هذه الآية تتقدم من حيث تاريخ نزولها على الآية الماضية ورغم أن المشركين قد طرحوا استفسارات كثيرة حول القيامة وتلقوا الإجابة عنها، إلا أنهم لم يكتفوا بذلك بل أصروا على الإستفسار عن لحظة وقوع القيامة لكي يكونوا على علم بوقتها لذا ذكر الله تعبير (يسألونك) عن استفسارهم لكي يلمح عن هذا الطريق إلى استمرار سؤال المشركين كما أن مسألة القيامة وأسئلة المشركين واليهود عنها قد تكررت في القرآن الكريم مرات عديدة (الطباطبائي، الميزان، المصدر السابق، ٢٠ / ١٩٥، السيدمحمد باقر حجتي، المصدر السابق، ص ٦٤) وإضافة إلى ذلك، فقد ذكر الفيض الآية ١٠٥ من سورة طه كمصداق للموضوع (أنظر: الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ٣ / ٣٢٠) ونقل عن الفخر الرازي أن الآيات ١٨٦ و ١٨٩ من سورة البقرة و ١٠٥ من سورة طه و ١٨٧ من سورة الأعراف و ٤ من سورة المائدة و ١ من سورة الأنفال و ٨٥ من سورة الإسراء و ٨٣ من سورة الكهف من جملة الآيات التي سبب نزولها هو بيان استفسارات الناس (أنظر الفخر الرازي، المصدر السابق، ٢ / ٢٨١) .

٢ – ٩ – الإنذار بالحوادث المستقبلية

أحيانا تدل الآية على حادثة ستقع ولكن دون أن تدلى بالمزيد عنها، وهنا تأتي بعض الروايات لتكشف عن تلك الحادثة، والسؤال هو هل يمكن أن يعد مافي تلك الروايات سبباً للنزول ؟ وهذا محل بحث ذلك أن سبب النزول – كما تقدم – يتعلق بأمور منها الحوادث أو الشبهات التي تطرح على النبى (ﷺ) أو الأوضاع والظروف التي مر بها المسلمون وما أعقب ذلك من نزول آية أو سورة (سيد محمد باقر حجتي، المصدر السابق، ص ٢٠) أما في هذا النوع من الحوادث التي لم تقع والتي دلت عليها آية أو آيات، فهذا الإطلاق مدعاة للتأمل، رغم أنه في هذه الموارد يستفاد من تعابير شأن النزول المتداولة نظير (نزلت) .

ولما كان الفيض الكاشاني قد نقل هذا النوع من الروايات عند تفسير بعض الآيات، فنكتفي بذكر نموذج واحد منها:

ففي آية (واتقوا فتنةً لاتصيَبنَّ الذينَ ظلمُوا منكم خاصّة) (الانفال / ٢٥) نقل عن ابن عباس قوله: إنها لما نزلت قال النبي (ﷺ) من ظلم علياً (عليه السلام) مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوتي ونبوة الأنبياء قبلي (الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ٢ / ٢٩٠).

وعن القمي نزلت في طلحة والزبير لما حاربوا أمير المؤمنين (عليه السلام) وظلموه (على بن إبراهيم القمي، المصدرالسابق، ١ / ٢٧١)

وعن تفسير العياشي عن الصادق (عليه السلام) عن هذه الآية قال: أصابت الناس فتنة بعدما قبض الله نبيّه (ﷺ) حتي تركوا علياً (عليه السلام) وبايعوا غيره وهي الفتنة التي فتنوا بها وقد أمرهم رسول الله (ﷺ) بأتباع علي (عليه السلام) والأوصياء من آل محمد (ﷺ) (الفيض الكاشاني، المصدر نفسه، وأنظر العياشي، المصدر نفسه، ٢ / ٥٣).

وقد أورد الطبري روايات الفتنة التي وردت في الآية وذكر أن الفتنة هي تفرق أمة محمد (ﷺ) ونقل ما روي أنه (ﷺ) قال: إني اخاف على أمتي الأئمة المضلين فإذا

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة (الطبري، جامع البيان، ٧/ ٢٩١) ويعتقد أن الخطاب موجه إلى المؤمنين ورسول الله (ﷺ) وأن الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله (ﷺ) (الطبري، جامع البيان، ٩/ ٢٨٧)ونقل في مصاديق هذه الآية روايات تتفق مع الروايات الشيعية .

و رغم أنه لامجال للقول إن هذه الروايات هي سبب نزول الآيات بالمعني الإصطلاحي إلا أنها تكشف عن وقائع وحوادث تخبر عنها الآية.

٢– ١٠– إزاحة الستار عن المدلول الظاهري لبعض الآيات

إن بيان سبب نزول الآيات منهج ثابت لفهم معاني القرآن الكريم، فعند إلقاء نظرة ظاهرية على آيات القرآن، قد تقدح في الذهن بعض المعاني أو الأوهام التي لاتتفق مع مراد الله سبحانه، ولا مخلص من ذلك سوى الرجوع إلى سبب النزول لإزاحة غبار الابهام عن وجه معاني آيات القرآن وقد أسهب المفسرون والمحققون في الحديث عن هذه الفائدة وذكروا موارد من آيات الذكرالحكيم.

ومن أمثلة ذلك، ما نجده عند تفسيره الآية (وإذا ضربتُم في الأرضِ فليسَ عليكُم جُناح أن تقصروا منالصّلاة) (النساء / ١٠١) قال الفيض: وإذا ضربتم في الأرض سافرتم فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة بتنصيف الرباعيات لما أمر الله بالجهاد والهجرة بين صلاة السفر والخوف قيل كأنهم ألفوا الإتمام ولما كان مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصاناً من التقصير فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا إليه (الفيض‌الكاشاني، المصدر السابق، ١ / ٤٩٢)

ثم نقل عن الفقيه والعياشي عن زرارة ومحمد بن مسلم قالا: قلنا لأبى جعفر (عليه السلام) ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي؟ وكم هي؟ فقال: إن الله عز وجل يقول: (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التام في الحضر، قالا: قلنا إنما قال الله تعالي: (فليس عليكم‌جناح) ولم يقل افعلوا، كيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر، فقال: أو ليس قد قال الله عز وجل: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) ألا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض لأن الله عز وجل ذكره في كتابه وصنعه نبيّه (ﷺ) وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبي (ﷺ) وذكره الله تعالي في كتابه) (المصدر نفسه، ٤٩٢/١ وأنظر العياشي، التفسير، ١/ ٢٧١)

يتضح جليا من هذا البيان أن الله سبحانه أراد بهذا النحو من السعي بين الصفا والمروة دفع وهم من اعتقد أن هذا العمل اقتبس من سنة الجاهلية، أومكروه بسبب وجود الأوثان على الصفا والمروة، ويقول (لاجناح عليه أن يطوف بهما) وفي آية السفر لأجل إزاحة تصور من اعتقد أن تقصير الصلاة في حال السفر يقلل منها، ويقول: (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) إذن فهذا النحو من التعبير في الآيتين لايدل على عدم الوجوب وروايات سبب النزول تدعم ذلك.

وللعلامة الطباطبائي كلام قيم في هذا السياق إذ قال عند تفسير الآية (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما): (إنما هو للايذان بأصل تشريع السعي بين الصفا والمروة لا لإفادة الندب .....ولو كان المراد إفادة الندب كان الأنسب أن يفاد أن الصفا والمروة لما كانا من شعائر الله فإن الله يحب السعي بينهما وهو ظاهر، والتعبير بأمثال هذا القول الذي لايفيد وحده الإلزام في مقام التشريع شائع في القرآن وكقوله تعالي في الجهاد

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

(ذلكم خير لكم) (الصف/١١) وفي الصوم (وأن تصوموا خير لكم) (البقرة / ١٨٤)وفي القصر (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) (النساء/١٠١) (الطباطبائي، الميزان، ١/ ٣٨٦).

٣ – الجمع والتوفيق بين روايات سبب النزول

ذهب علماء الأصول إلى أن تعارض الأخبار هو التنافي بين الخبرين دلالة وفي مقام الإثبات بنحو أننا نعلم إجمالاً بعدم صحة أحدهما وعدم إمكان اجتماعهما (الآخوند الخراساني، ص ٤٩٦، ١٤١٤هـ .ق) ورغم أن الفيض الكاشاني قد شرح منهجه الأصولي في نقل الروايات وكشف القواعد عند نقل الروايات وعند مواجهة الأخبار المتعارضة إلا أنه جنح إلى الجمع والتوفيق بين الروايات مهما أمكن (الفيض الكاشاني، الوافي، ١ / ٢٧٥). وبوسعنا أن نلمس هذا المنهج بوضوح في الروايات التفسيرية فهو يبذل جل وسعه للحيلولة دون إبطال الروايات الصادرة عن المعصومين والتي تفوح منها رائحة التنافي والتعارض إلا إذا لم يجد مناصاً من ذلك (الفيض الكاشاني، الأصول الأصيلة، ص ٨٥) ويمكن تتبع خطوات هذا المنهج في تفسيره الصافي فهو حينما يذكر المفسر هذا النوع من الروايات يردفها بعبارة (أقول) بهدف الجمع والتوفيق بينها (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ١ / ٧٦) ويمكن – عبر رصد كلماته – إثبات هذا المنهج له، فقد ذكر في مقدمة تفسيره الصافي دافعه إلى هذا التفسير وهو حدوث خلل في سائر التفاسير و هو ما حال دون التعويل عليها ومن هذا الخلل ما يشتمل على ما يوهم عليه التناقض لتخصيص المعنى تارة ببعض الأفراد كأنه هو المراد، وتارة بفرد آخر كأن غيره لايراد من غير تعرض للجمع والتوفيق والإتيان بما هو التحقيق .(الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ١/ ١١).

والجدير بالذكر أننا لم نظفر حين البحث عن موارد الجمع والتوفيق بين روايات سبب النزول – بالموارد التي تشير إلى وجهة نظر الفيض الكاشاني في حمل اختلاف الروايات على تكرر النزول مما يدل على عدم اقتناعه به.

٤ – النتيجة

رغم استحضار الفيض الكاشاني لمبانيه الأصولية وخاصة عند مواجهة تعارض الأخبار إلا أنه واجه التعارض في روايات سبب النزول من خلال الإعتماد على المرجحات بغية الجمع والتوفيق بينها بدل التشبث بقواعد التعادل والتراجيح، وهذا الجمع والتوفيق بحاجة الى محمل لكي يتيسر على ضوئه الجمع بين طائفة من الروايات مع طائفة أخرى أو رواية مع رواية أخرى، من هنا يمكن الظفر بمحامل متنوعة استعان بها في الجمع والتوفيق بين روايات أسباب النزول. إن ما انتهي إليه هذا البحث هو محاولة استخلاص خيوط من المنهج الذي اختطه هذا المفسر حينما يواجه روايات سبب النزول وضمها معا في نسيج واحد منتظم.

وعلى أية حال يمكن استخلاص النتائج التالية من هذا البحث:

١ – اختار الفيض الكاشاني منهج الجمع والتوفيق بدل قاعدة التعادل والترجيح في تفسيره الروائي للإنتفاع من حجم الأحاديث الروائية وللحيلولة دون العزوف عن الكم الهائل للروايات الدالة على وقوع التعارض الظاهري والإبتدائي فيما بينها.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

٢ – أوجد هذا المفسر الكبير مخارج للجمع والتوفيق بين روايات أسباب النزول استنادا إلى مباني الفقه الحديثي لكي يسود بينها الوئام والإنسجام .

٣ – كما يمكن – حسب اعتقاد هذا المفسر – الجمع والتوفيق بين الروايات على أنحاء مختلفة :

أ – حمل بعض روايات سبب النزول على المفهوم العام للآية أحياناً، وحمل بعض آخر على مصاديق لها.

ب – حمل بعض الروايات على السبب الخاص لنزول الآية التي تعم موارد أخرى تبعاً لقاعدة الجري والتطبيق، وبذلك يزول التعارض بين الروايات الدالة على سبب النزول الخاص وبين الروايات الدالة على تطبيق الآية على مورد آخر .

ج – حمل الروايات المتنوعة أحياناً على مصاديق متنوعة للآية و اعتبار أحدها أكمل المصاديق .

د – حمل بعض الروايات على التنزيل وحمل روايات أخرى على التأويل، وعليه يمكن حمل بعض الروايات على ظاهرها والبعض الآخر على باطنها لئلا يدب الإختلاف.

هـ – كذلك يمكن الجمع بين الروايات من خلال الإستعانة بموارد أخرى، نظير: البيان التدريجي للأحكام، الإجابة عن الإستفسارات المثارة، بيان مناخ نزول الآيات، الإنذار بالحوادث المستقبلية ونظائرها ولعل الإستقصاء في الروايات التفسيرية للفيض الكاشاني يتيح لنا المجال للعثور على موارد أخرى للحمل بين الروايات .

المصادر والمراجع

[١] الآخوند الخراساني، محمّد كاظم، كفاية الأصول، مؤسسة النّشر الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ ق.

[٢] ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق محمدهارون، دارالجيل، بيروت ،١٤١١ هـ ق .

[٣] الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق عبدالغفور عطار، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤ هـ ق.

[٤] حاجي خليفة، مصطفي بن عبدالله ،كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، دار الفكر، بيروت ،١٤١٩هـ ق.

[٥] حجّتي، سيد محمّد باقر، أسباب النّزول، مكتب النشر والثقافة الإسلامية، طهران،١٣٦٩ .

[٦] الرازي، أبوالفتوح حسين ابن علي، روض الجنان و روح الجنان، العتبة الرضوية المقدسة، مشهد ،١٤٠٨ هـ ق.

[٧] الرازي، فخرالدّين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ ق .

[٨] الراغب الأصفهانى، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦ ش .

[٩] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٤١٦هـ ق.

[١٠] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد سالم هاشم، دار ذوي القربي، ١٤٢٤ هـ ق.

[١١] شاكر، محمد كاظم، مباني وروشهاي تفسير قرآن (مباني ومناهج تفسير القرآن)، دفتر الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٧٦ ش.

[١٢] الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧ هـ ق.

[١٣] الطبرسي، أبو على فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ ق.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

[١٤] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ هـ ق.

[١٥] الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق الدراسات الإسلامية، منشورات البعثة، قم، ١٤١٥ هـ ق.

[١٦] الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

[١٧] عميد زنجاني، عباس على، مباني ومناهج تفسير القرآن، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٦٨ ش .

[١٨] العياشي، أبو نصر محمد بن مسعود، كتاب التفسير، المطبعة العلمية، طهران، ١٣٨٠ هـ ق.

[١٩] الفراهيدي، خليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي مخزومي، منشورات أسوة، قم، ١٤١٤ هـ ق.

[٢٠] الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق نديم المرعشلي، دار إحياء التراث‌العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ ق.

[٢١] الفيض الكاشاني، محمد محسن، الأصول الأصلية، تحقيق مير جلال الدين الأرموي، منظمة منشورات‌الجامعة، طهران، ١٣٤٩ ش.

[٢٢] الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي، مكتبة آية الله مرعشي نجفي، قم، ١٤٠٤ هـ ق.

[٢٣] الفيض الكاشاني، محمد محسن، تفسير الصافي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بلا تاريخ.

[٢٤] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، منشورات ناصر خسرو، طهران، ١٣٦٤ ش.

[٢٥] القمي، على بن إبراهيم بن هاشم، تفسير القمي، دار الكتب، قم، ١٣٦٧ ش .

[٢٦] المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ هـ ق.

[٢٧] المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٣٧١ ش.

[٢٨] معرفت، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦ هـ.ق.

[٢٩] الميبدي، أبو الفضل، كشف الأسرار وعدة الأبرار، منشورات أمير كبير، طهران، ١٣٦٣ ش .

[٣٠] الواحدي النيسابوري، على بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ .

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:38 IRDT on Monday August 31st 2020

نقد و بررسی روایات اسباب نزول در تفسیر صافی

ماشاءالله جشنی ارانی [1]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۸/٤/۲۷ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۸/۱۲/۲۳

اسباب نزول در تفاسیر روایی جایگاه ویژه‌ای دارد. نگرش مفسران در این تفاسیر از زوایای مختلفی قابل بررسی است. بهره‌گیری آن‌ها از روایات در این زمینه و همچنین میزان اعتماد آن‌ها به این قبیل روایات می‌تواند بیانگردیدگاه‌های مفسر در ارتباط با اسباب نزول باشد.

تفسیر گران سنگ فیض کاشانی (تفسیر صافی) در حلقه تفاسیر روایی، دارای ویژگی‌هایی از این جهت است. بهره‌گیری از روایات تفسیری در ابعاد گسترده و زوایای گوناگونی چون: بیان سبب نزول در مورد فرد یا افراد، در بیان فرایض و احکام، درشأن ائمه علیهم‌السلام، در بیان فضای نزول آیات، در بیان تدریجی احکام، در تبیین سؤال مردم، در دفع توهم از مدلول ظاهری آیات و مانند آن از گستردگی و دامنه استفاده از این قبیل روایات در تفسیر یاد شده حکایت دارد. از سوی دیگر نحوه تعامل این مفسر با روایات به ظاهر متعارض در این باب برخاسته از مبنای فقه‌الحدیثی اوست که در این گونه موارد معمولاً به جمع وتوفیق بین این روایات روی می‌آورد.

بنابراین، وی نه به شیوهٔ متداول اصولیان که در رویارویی با تعارض اخبار بر اساس قاعده تعادل و تراجیح به دنبال اخبار مورد وثوق می گردند و جز آنچه را که پذیرفتند از اعتبار ساقط می دانند، بلکه بر اساس شیوهٔ خاص خود در روایات تفسیری همواره در جستجوی محملی است، تا به شکلی این‌گونه تعارض ها را از میان بردارد . بر این اساس وی با حمل برخی روایات بر تنزیل و برخی دیگر بر تأویل و همچنین به شیوهٔ جری و تطبیق و مانند آن در صدد است به این هدف دست یابد . این پژوهش برای تبیین این شیوه در گونه های مختلف روایات اسباب النزول در تفسیر فیض کاشانی است.

واژگان کلیدی: تفسیر صافی، فیض کاشانی، اسباب النزول، شأن نزول

---

۱. استادیار گروه الهیات دانشگاه کاشان